الخلافات بين الصليبيين وأثرها على الوجود الصليبي في الشرق فيما بين الحملتين الأولى والثانية

إعداد

دكتور محمد محمد عبد الحميد فرحات

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد

كلية التربية بالعريش – جامعة قناة السويس

لم تكن خلافات الصليبيين وليدة وجودهم في الشرق بل نشأت مواكبة للدعوة للحروب الصليبية، و لم تقتصر تلك الخلافات على فئة دون الأخرى، بل امتدت لتشمل كل الفئات من أمراء، ونبلاء، وملوك، وحتى العامة. كما لم تقتصر على العلمانيين وحدهم، بل طالت رجال الدين أيضًا. كما أنها لم تكن وقفًا على الرجال وحدهم بل شاركتهم النساء كذلك. و لم تكن تلك الخلافات مقصورة على الصليبين بعضهم البعض، بل نشبت بين الصليبين وبين القوى المختلفة في الغرب والشرق على حد سواء.

ولما كانت خلافات الصليبين كثيرة ومتشعبة يصعب معها حصرها وتناولها بالدراسة والتحليل، لذا اقتصرت هذه الدراسة على تناول الخلافات التي حدثت بين كبار الأمراء الصليبين بعضهم البعض أو بينهم وبين ملوك بيت المقدس في الفترة ما بين الحملتين الأولى والثانية لما لهذه الفترة من أهمية حيث شهدت بدايات الاستيطان الصليبي للشرق وتبلورت خلالها أهدافهم. كما ركزت الدراسة على إبراز الخلافات التي ترتبت عليها آثار كبيرة وغضت الطرف عن غيرها من الخلافات.

فما أن بدأت الحروب الصليبية، ونجح الصليبيون في عبور آسيا الصغرى حتى انفصل كل من بلدوين أوف بولون Baldwin of Bouillon وتانكريد Tancred عن الجيش الرئيسي وتوجها إلى إقليم قليقية وقد تمكن الأخير من دخول مدينة طرطوس وكان معه جماعة صغيرة تتألف من مائة فارس ومائتين من المشاة ورفع راياته عليها بعد هروب الحامية التركية منها، إلا أن بلدوين عندما وصل بعد ذلك إلى المدينة ومعه خمسمائة فارس وألفين من المشاة ساءه ما حدث وأرغم تانكريد على التخلي عن المدينة والذهاب إلى أدنة وانفرد هو بطرطوس وعندما وصلت النجدة التي كان قد طلبها تانكريد من الجيش الرئيسي وقوامها ثلاثمائة من النورمانديين رفض بلدوين السماح لهم

بدخول المدينة -برغم توسلاتهم- فعسكروا خارجها وبينما هم كذلك باغتتهم الحامية التركية التي كانت تجوب المنطقة ليلاً فقتلتهم عن آخرهم[١] .

وقد تجدد الخلاف بين الأميرين مرة أخرى عندما تمكن تانكريد من دخول المصيصة في أكتوبر ١٠٩٧م / ذي القعدة ٤٩٠هـ وأثناء وجوده بالمدينة وصل بلدوين وجيشه، فرفض تانكريد السماح لهم بدخول المدينة وأجبرهم على أن يضربوا معسكرهم خارجها ولكن الكثيرين من النورمانديين، لم يحتملوا أن يفلت بلدوين دون عقاب على جريمته في طرطوس، فحرضوا تانكريد على الاشتباك معهم في هجوم مفاجئ على معسكره، ولكن سرعان ما ردهم بلدوين على أعقابهم مهزومين، ولما لم يجد الخلاف بين الجانبين نفعًا أصبحا للصلح مجالاً بينهما ولكن بعد أن أدرك المسيحيون الوطنيون أن مخلصيهم الصليبيين ليسوا على استعداد للتعاون من أجل خير المسيحيين عامة حين تلوح فرصة للفوز بممتلكات خاصة، وأيقنوا أن تحرك الفرنج من منطلق مشاعر الإيثار ليس إلا تحركًا مصطنعًا، وتعلموا أن خير وسيلة للاستفادة من الفرنج هي الإيقاع بينهم[٢] .

ولعل من أهم النتائج التي ترتبت على الخلاف بين تانكريد وبلدوين أن قل عدد جنودهما، كما أضاع بلدوين على تانكريد فرصة تأسيس إمارة في قليقية، وفي نفس الوقت فقد صرف بلدوين النظر عن التمسك بإقامة أمارة له هناك إما بسبب قربها من الدول البيزنطية أو لحث الأرمن له بالإسراع شرقًا

---

(١) Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, Ed.R.H.C.,H.Occ.,T. IV, Paris, 1879, p.p.342-43; Raoul de Caen, Gesta Tancridi in Expedition Hierosolymitana, Ed.R.H.C., H.Occ., T. III, Paris, 1866, p.p. 629-31.

(٢) ترد قصة الحملة على قليقية مفصلة عند :

Albert d'Aix, Op. Cit., T. IV, pp. 342 - 50; Raoul de Caen, Op. Cit., pp. 626-41, C.F. also, Mayer, the Crusades, Trans, From german by Gilleng ham, Oxford University press, 1972, p. 268.

وعن مواقع مدن قليقية انظر الخريطة رقم (١) في آخر البحث.

إلى أعالى الفرات[١] .

وما كاد الصليبيون يستولون على أنطاكية حتى دب الخلاف بينهم؛ فعندما عقد القادة الفرنج اجتماعًا فى كاتدرائية القديس بطرس بالمدينة فى نوفمبر ١٠٩٨م / ذى الحجة ٤٩١هـ لتحديد خط سير الحملة وتقرير مصير أنطاكية ظهر الخلاف واضحًا بين بوهيموند النورماندى Bohemond of Normandy وريموند الصنجيلى Raymond of Saint-Gilles حول أحقية كل منهما فى ملكية المدينة، مما أثار السخط والتذمر بين الجند وبقية الفرسان الفرنج، واتهموا قادتهم بخيانة القضية الصليبية، وهددوهم بالتخلى عنهم وتدمير أنطاكية وأسوارها[٢] .

وفى مواجهة هذا الموقف خشى القادة الأكثر اعتدالاً أن يلجأ ريموند وبوهيموند إلى السلاح، فاقترحوا إجراء مناقشة يسودها الود يشترك فيها الأمراء الرئيسيون فقط دون غيرهم. وبعد أن شهد الاجتماع المزيد من

---

(١) Fulcher of Chartres, A History of the Exped edition to Jerusalem, Tr. by Frances Ryan, Sisters of St. Joseph, edited with an introduction by Harold's Fink, Konxville, U.S.A., 1969, p. 89; Matthieu d'Edesse, Extrait, de la Chronique, Ed. R.H.C., Doc, Arm., T.I, Paris, 1869, p. 35.

انظر أيضًا : عمد الشرع : عصر الحروب الصليبية فى الشرق، الشهابى للطباعة والنشر، ١٩٩٧م، ص ١٢٠ - ١٣١؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية، ٢ جـ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م، جـ١، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) William of Tyre, A History of Deeds Done Beyoned the Sea, Tr. by Babcock and Krey, 2 vols, New York, 1943, Vol.I, p. 249; Fulchery of Chrtres, Op. Cit., p. 112.

انظر أيضًا :

ريموند اجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين عطية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م، ص ١٦٤ - ١٩٥.

انظر أيضًا :

يوشع براور : عالم الصليبيين، ترجمة وتعليق وتقديم: قاسم عبده قاسم ومحمد عليفا حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٩، ص١٥.

المشاهد الغاضبة، أعلن ريموند انه يوافق على القرارات التى يتوصل إليها المجلس فى نهاية الأمر بشأن أنطاكية شريطة أن يقسم بوهيموند على مصاحبة الحملة الصليبية إلى بيت المقدس، بينما أقسم بوهيموند أمام الأساقفة على عدم تأخير الحملة الصليبية أو الإضرار بها من أجل طموحاته الشخصية[١] . وقد فشل المجلس فى حسم مسألة أنطاكية، وظل كلا الأميرين يستأثر بجزء من المدينة، كما لم يحدد المجلس تاريخًا للانطلاق إلى بيت المقدس، ونتيجة لكل ذلك أضاع الصليبيون وقتًا ثمينًا ببقائهم فى أنطاكية مما أتاح الفرصة للفاطميين لحصار بيت المقدس والاستيلاء عليها من الأرتقة فى حربة تامة، كما أشاع روح التذمر والضجر بين الجند[٢] .

وإزاء ذلك رأى الصليبيون أنه من الحكمة شغل الجند بعمل مفيد يشد انتباههم وبلهيهم عما يجرى من خلاف بين قادتهم، وعليه قرروا مهاجمة مدينة معرة النعمان[٣] والاستيلاء عليها لتأمين ميسرة الجيش عندما يتقدم جنوبًا باتجاه

---

(١) Historia Belli Sacri, (Tudebodus Continuatus), in R.H.C., H.OCC., T. III, p. 203.

انظر أيضًا :

ريموند اجيل : المصدر السابق، ص ١١٦٥ المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه د. حسن حبشى، دار الفكر العربى، ١٩٥٨م، ص ٦٨، وراجع أيضًا الرواية البيزنطية عن هذا الصراع فى

Anna Comnena, The Alexiad, Trans. E.R.A. Sewter, Great Britain, 1969, p. 258.

(٢) والجدير بالذكر أن الفاطميين نجحوا فى انتزاع بيت المقدس من إيلغازى وسقمان ولدى أرتق فى شعبان ٤٨٩هـ بعد حصار دام ثمانية وأربعين يومًا.

ولمزيد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ٩جـ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، جـ ٨، ص ١١٨٩ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٣٥.

(٣) Pulcher of Chartres, Op. Cit., p. 112; William of Tyre, Op. Cit., p. 310.

سميت بذلك نسبة للنعمان بن بشير أحد صحابة رسول الله (ص)، الذى مات ودفن هناك بسبب أسوار المدينة، راجع :-

بيت المقدس، ولكن سرعان ما تجدد الخلاف بين الأميرين مرة أخرى. فعلى الرغم من أن جنود ريموند هم الذين استولوا على المدينة؛ إلا أن بوهيموند استأثر بالجزء الأكبر من الغنائم، مما أثار حفيظة ريموند ودفعه إلى مطالبة بوهيموند بالتخلى عن المدينة، وقد رفض الأخير طلبه إلا إذا تخلى ريموند له عن المنطقة التى يحتلها فى أنطاكية[1].

ضجر الصليبيون من تجدد الخلاف بين الأميرين وألحوا على ريموند بضرورة استكمال المسيرة إلى بيت المقدس فاضطر إلى الإعلان عن قرب استئناف الحملة آملاً أن يكون هو القائد الأوحد لها، وبسبب تلكه قام الصليبيون بإحراق وتدمير أسوار معرة النعمان حتى لا يبقى لريموند عذر فى البقاء بالمدينة، فى حين عاد بوهيموند إلى أنطاكية وتمكن من طرد الحامية التى تركها ريموند بالمدينة واستأثر بحكمها ١٠٩٨- ١١٠٤م/ ٤٩١- ٤٩٨هـ[2].

كان للخلاف السابق آثاره السلبية على الصليبيين فضلاً عن أنه أوغر صدور معظم القادة الصليبيين وبث الحقد والكراهية بينهم فإنه أدى إلى تدمير مدينة معرة النعمان رغم ما بذلوه من جهد كبير فى الاستيلاء عليها. والحقيقة

- ياقوت الحموى : معجم البلدان، ٥ جـ، بيروت ١٩٧٩م، جـ٤، ص ٥٧٤.

(1) لمزيد من التفاصيل عن استيلاء الصليبيين على معرة النعمان وما جرى بها من أحداث راجع :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., pp. 112 - 13; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 268; William of Tyre, Op. Cit., p. 310 - 13.

انظر أيضًا :

ريموند اجيل : المصدر السابق، ص ١٦٥ - ١١٦٩؛ ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١٣٦ - ١٣٧؛ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ١٨٧؛ ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب، ٣جـ تحقيق الدكتور سامى الدهان، دمشق ١٩٦٨م، جـ ٢، ص ١٤١ - ١٤٢.

(2) Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 113; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 268; William of Tyre, Op. Cit., p. 313.

انظر أيضًا :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١٣٧؛ ابن العديم : المصدر السابق، ص ١٤٢.

C.F. Also, Michaud, History of Crusades, trans. From French by Robson, 3 vols. London, 1852, Vol.1, p. 186.

أن إذعان ريموند لمطلب جنده لم يكن سوى من الهوى فهو لم يتحرك إلى بيت المقدس إلا عندما تيقن من أنه سيكون القائد الأوحد للحملة. وبذا يتضح لنا أن هدفه لم يكن أبدًا الصالح العام بقدر ما كان تحقيقًا لمآربه الشخصية، أما بوهيموند فقد قنع بأنطاكية وأخلد إلى الأرض وفضل البقاء بها على اللحاق بجنود الحملة الأمر الذى حرم الصليبيين من عون جنوده الذين بقوا معه مما أدى إلى تناقص أعداد الصليبيين وتعرضهم إلى مواقف لا يحسدون عليها أثناء رحلتهم إلى بيت المقدس.

تفجر الخلاف مرة أخرى بين الصليبيين عقب استيلائهم على بيت المقدس يوليو ١٠٩٩م / شعبان ٤٩٢هـ حيث نشب هذه المرة بين جودفرى أوف برابون Godfrey of Bouillon وريموند كونت تولوز الذى اعتقد أن الأول قد خذله وسلب منه حكم بيت المقدس[1]، لذلك رفض ريموند تسليمه برج داود الذى تسلمه من الحامية الفاطمية، متعللاً بأنه ينوى البقاء فى بيت المقدس للاحتفال بعيد الفصح التالى وسيكون البرج محل إقامته، وتحت ضغط من بقية القادة الصليبيين وافق ريموند على أن يتركه فى رعاية أسقف البارة إلى أن يعقد مجلس عام للحملة الصليبية لحسم الأمر. على أنه ما أن انتقل ريموند من البرج حتى سلمه الاسقف إلى جودفرى دون انتظار لقرار تحكيمى متنوعًا بعدم توفر أسباب الدفاع عن البرج لديه، وإن قيل أن جنود ريموند هم الذين دفعوا الأسقف إلى ذلك حتى يجبروا قائدهم على الإسراع والعودة إلى الغرب لذلك ثارت ثائرة ريموند وغادر بيت المقدس، ونصب معسكره خارج المدينة

---

[1] لمزيد من التفاصيل عن الخلاف بين جودفرى وريموند حول حكم بيت المقدس انظر :

William of Tyre; Op. Cit., p. 382.

انظر أيضًا : ريموند أجيل : المصدر السابق، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

انظر أيضًا : محمد محمد الشيخ : المرجع السابق، ص ١٧٧.

بعد عودته من رحلة قصيرة إلى نهر الأردن[١].

لم يقف الخلاف بين الرجلين عند هذا الحد، بل بلغ مداه عند عسقلان فبعد أن نجح الصليبيون فى هزيمة الوزير الفاطمى الأفضل شاهنشاه أغسطس ١٠٩٩م / رمضان ٤٩٢هـ وفراره من المعركة تاركًا فى ساحتها أعدادًا هائلة من جنوده قتلى وأسرى[٢]. أراد جودفرى أن يستولى على المدينة خاصة أن الحامية الإسلامية الموجودة بها كانت تدرك جيدًا عدم قدرتها على الصمود أمام هجمات الصليبيين، كما أن المذبحة التى اقترفها الصليبيون فى بيت المقدس لم تذهب سدى فلا يزال صداها عالقًا فى أذهانهم، ولما كان أهل عسقلان لا يرغبون فى أن يلقوا نفس مصير إخوانهم فى بيت المقدس فقد سعوا إلى مراسلة الكونت ريموند للتفاوض معه فى شروط تسليم المدينة، حيث أنه الوحيد من بين القادة الصليبيين الذى حافظ على وعده للمسلمين وسمح للأمير افتخار الدولة وحاميته بالخروج من بيت المقدس آمنين[٣]، فأرسلوا إلى المعسكر

---

[١] لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث، راجع :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 124; William of Tyre, Op. Cit., pp. 367 - 8; C.F also, Duggan, The Story of The Crusades, London, 1963, p. 78; Mayer, Op. Cit., p. 61.

والجدير بالذكر أن ريموند ضرب معسكره عند أريحا و لم يشأ أن يدخل بيت المقدس.

عن ذلك انظر : ريموند أجيل : المصدر السابق، ص ٢٥٨.

[٢] لمزيد من التفاصيل عن معركة عسقلان، راجع :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., pp. 125 - 27; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 493 - 7; Caffaro Cashifelone, De Liberation Civitatum Orientis Liber, Ed.R.H.C., H.OCC., T.V, Paris, p. 57.

انظر أيضًا : ريموند أجيل : المصدر السابق، ص ٢٦٠ - ٢٦٣؛ ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١٣٧؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ص ١٩٠.

وعن تنظيم الجيش الصليبى فى معركة عسقلان راجع : الخريطة رقم (٢) آخر البحث.

[٣] لمزيد من التفاصيل عن الاتفاق بين الأمير افتخار الدولة الفاطمى وريموند، انظر :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 124; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 483.

انظر أيضًا : ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ١٨٩؛ ابن ميسر : أخبار مصر، ٢جـ نشر هنرى ماسيه، القاهرة ١٩١٩م، جـ٢، ص ٣٩؛ أعمال الفرنجة، ص ١١٨ - ١٢٠.

الصليبى أنهم على استعداد لتسليم المدينة له فى مقابل وعد بالأمان، إلا أن جود فرى رفض الاعتراف بأية شروط لا تُفضى إلى تسليمه المدينة نظرًا لارتيابه الشديد فى ريموند منذ حادثة برج داود فتميز ريموند من الغيظ وذهب مغاضبًا وترك حصار عسقلان وحذا حذوه كل من روبرت النورماندى Robert of Normandy وروبرت أوف فلاندرز Robert of Flanders بعد أن أصيبا بخيبة أمل من تفاهة جودفرى، وعندما وجد الأخير نفسه وحيدًا أمام عسقلان ولما كانت قواته لا تقوى بمفردها على حصار المدينة فقد تركها وعاد أدراجه ثانية إلى بيت المقدس[1].

أضاع الصليبيون -نتيجة خلافاتهم- فرصة ذهبية للاستيلاء على عسقلان التى كانت لقمة سائغة سهلة المنال، ولكنها صارت شوكة فى حلقهم قرابة نصف قرن من الزمان، فقد أدى تشكك وارتياب جودفرى فى نوايا ريموند وخوفه من إقامة إمارة له فى عسقلان على ساحل البحر قبالة مدينة بيت المقدس -الأمر الذى يحرم المملكة من منفذ بحرى- إلى أن يقف حجر عثرة أمام ريموند وطموحاته، خاصة وقد رأى ميل أهلها له وبذا غلّب أهواءه الشخصية ضاربًا عرض الحائط بالصالح العام، و لم يكن ريموند أحسن حالاً منه إذ أنه لم يكتف بالانسحاب بقواته من أمام عسقلان بل راح يحرض أهل المدينة المسلمين على ضرورة الصمود والتصدى لقوات جودفرى وبذلك فوت على الصليبيين الفرصة للاستيلاء على عسقلان، خاصة أن أهل المدينة عندما رأوا ما عليه الصليبيون من فرقة استبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم والتصدى للصليبيين. وهكذا ضاعت مدينة عسقلان من بين أيديهم بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من السقوط، وبذا ارتكب الصليبيون خطأ كبيرًا

---

(1) Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 126.

انظر أيضًا ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١١٣٧ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٨، ص ١٩٠.

فى تفريطهم فى المدينة، إذ أصبحت القاعدة الرئيسية للقوات الفاطمية البرية والبحرية التى تخرج منها الحملات لحرب الصليبيين، كما كانت القاعدة الأمامية التى تمد الموانئ الفاطمية الشامية بما تحتاج إليه من مؤن وإمدادات عسكرية عند تعرضها للحصار الصليبى، هذا فضلاً عن أهمية موقعها بالنسبة لبيت المقدس.

وقد تجدد الخلاف بين الرجلين مرة أخرى عند أرسوف التى عرج عليها ريموند بعد انصرافه من عسقلان، وقد عرضت المدينة عليه التسليم فى مقابل وعد بالأمان، ولكن سرعان ما لحق به جودفرى ورفض للمرة الثانية أن تستسلم المدينة لريموند على اعتبار أن أرسوف تعتبر تابعة لمملكة بيت المقدس، لذلك غضب ريموند من مسلك جودفرى وترك حصار المدينة بعد أن أوعز إلى أهلها بعدم الاستسلام والتصدى لقوات جودفرى الضعيفة[١].

وهكذا ضاعت أرسوف كما ضاعت عسقلان من قبل نتيجة الخلاف بين الصليبيين وبدلاً من أن يستغل الصليبيون نتيجة انتصارهم الكبير على الفاطميين عند عسقلان ويعملوا جاهدين على توسيع رقعة مملكتهم الوليدة مستغلين حالة الرعب والهلع التى انتابت المسلمين، نجدهم يتركون كل ذلك ويعملون على تحقيق أهدافهم الشخصية دون النظر إلى الصالح العام، فتفجرت الخلافات فيما بينهم وانعكست آثارها الوخيمة على وجودهم فى الشرق، ومن مظاهرها رحيل أعداد كبيرة من الصليبيين من القادة والجنود إلى الغرب تاركين المملكة الناشئة عرضة لخطر المسلمين المتربصين بها[٢].

---

[١] لمزيد من التفاصيل عن حصار الصليبيين لأرسوف والخلاف بين جودفرى وريموند، انظر :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 152; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 497 - 98; Caffaro, Op. Cit., p. 57

وعن موقع المدينة راجع الخريطة رقم (١).

[٢] من أبرز القادة الصليبيين الذين رحلوا عن الشرق ريموند كونت تولوز وروبرت أوف فلاندرز، ولمزيد من التفاصيل عن رحيل الصليبيين عن الشرق انظر :-

لعبت المطامع الشخصية دورًا كبيرًا فى تفجر الخلافات بين الصليبيين فعندما أسر بوهيموند أمير أنطاكية على أيدى الأتراك الدانشمند بالقرب من ملطية أغسطس ١١٠٠م / شوال ٤٩٣هـ[1] أرسل إلى بلدوين أمير الرها رسالة يتوسل إليه فيها بالإسراع إلى تخليصه من الأسر قبل أن ينقله أعداؤه إلى أعماق الأناضول ولكى يدلل على شدة ما يعانيه أرسل إلى بلدوين خصلة من شعره الأصفر ليكون مدعاة لخروجه ونجدته، إلا أن بلدوين تباطأ بالخروج بحجة تأمين حدود إمارته ضد غارات المسلمين المجاورين له. وعندما استعد للخروج لإنقاذ بوهيمند اصطحب معه فرقة عسكرية صغيرة العدد قوامها مائة وأربعين فارسًا فقط.

ومهما يكن من أمر فإن بلدوين لم يكن جادًا فى نجدة بوهيموند وتخليصه من الأسر -وإن تظاهر بعكس ذلك- والدليل على ذلك تثاقله عن الخروج على الفور هذا من جهة، كما أن العدد القليل الذى أخذه معه من الفرسان لتلك المهمة كان من القلة بحيث لا يمكنه من مواجهة الدانشمند أو مطاردتهم عبر منطقة جبلية وعرة من جهة ثانية، وربما وجد بلدوين فى أسر بوهيموند فرصة سانحة للتخلص من غريم له تقع حدود إمارته ملاصقة لحدوده من جهة ثالثة، كما أنه عمل على فرض نفوذه على تلك المنطقة التى يحكمها الأرمن؛ فقد أعلنت مدينة ملطية بالفعل ولاءها له ودخلت فى طاعته بعد أن

= Ceffaro, Op. Cit., p. 57; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 494 - 99; Fulcher of Charters, Op. Cit., p. 128; William of Tyre, Op. Cit., p. 397.

(1) والجدير بالذكر أن الأمير غازى ابن كمشتكين تمكن من نصب كمين لبوهيموند بالقرب من ملطية ونجح فى الإيقاع به وأسره مع عدد من فرسانه ثم زج به فى غياهب سجن قلعة نكسار بإقليم بنطس، ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث راجع :

Fulcher of Charters, Op. Cit., p. 135; William of Tyre, Op. Cit., p. 421; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 524 - 26; Raoul de Caen, Op. Cit., pp. 704 - 5,

انظر أيضًا :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١٣٧ - ١٣٨؛ ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٩، ص ١٩٥.

كانت من قبل موالية لبوهيموند النورماندى[1].

هذا فيما يختص بأمير الرها، أما فيما يتعلق بالملك بلدوين الأول ١١٠٠- ١١١٨م/ ٤٩٣- ٥١١هـ والأمير تانكريد فلم يأسفا كثيرًا على أسر بوهيموند بل كانا حريصين على بقائه أطول مدة فى الأسر[2]. وذلك حتى ينعم تانكريد بأنطاكية التى تولى حكمها بعد انتقاله إليها من الجليل، فى حين تخلص الملك بلدوين من مجاورة تانكريد والذى كان يسبب له إزعاجًا كبيرًا، وبذلك التقت مصالح للصليبيين الشخصية لتكون حجر عثر أمام محاولة إطلاق سراح الأمير بوهيموند النورماندى.

ومرة تلو الأخرى تلعب المطامع الشخصية دورًا كبيرًا فى تفجر الخلافات بين الصليبيين فعندما التقت وجهة نظر صليبى الرها وأنطاكية على ضرورة فصل المدن الإسلامية فى الشام عن بقية المدن الإسلامية فى العراق والأناضول. اتفقوا على مهاجمة مدينة حران ذات الموقع الاستراتيجى والاستيلاء عليها لتحقيق هدفهم المنشود من جهة، وتأمين حدود إمارتى الرها وأنطاكية ضد هجمات مسلمى العراق والموصل من جهة أخرى، لذلك توحدت قوات بلدوين أوف بورج Baldwin of Bourg أمير الرها مع قوات بوهيموند أمير أنطاكية وسارت سويًا صوب حران[3] يدفعها فى ذلك ما أصبح

---

(1) Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 135; William of Tyre, Op. Cit., p. 421.

انظر أيضًا :

سعيد عاشور : المرجع السابق، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(2) Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 537 - 38; Fulcher of Chartres, Op. Cit., p. 151.

والجدير بالذكر أن بوهيمند ظل فى الأسر حتى ١١٠٣م، حيث أطلق سراحه فى مقابل ألف بيزانت، ولمزيد من التفاصيل انظر :

Raoul de Caen, Op. Cit., p. 710; Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 610 - 12.

(3) تشكلت القوات الصليبية من بلدوين أوف بورج أمير الرها وجوسلين أوف كورتناى أمير معاقل الفرات وبوهيموند أمير أنطاكيا وابن أخته تانكريد هذا فضلاً عن أعداد كبيرة من الأرمن بالإضافة إلى ثلاثة من كبار رجال الدين هم: بدكت رئيس أساقفة الرها اللاتينى وديجوت رئيس أساقفة بيت-

عليه المسلمون في العراق بصفة عامة وحران بصفة خاصة من تدهور وتشرذم[١] ، وما أن ضرب الصليبيون الحصار على المدينة حتى أسقط في يد أهلها ورأوا أنهم لا قبل لهم بدفع القوات الصليبية والتصدى لها، لذلك أرسلوا وفدًا إلى الصليبيين يقدم لهم مفاتيح المدينة ويتفاوض معهم[٢] في شروط الصلح الذى يضمن لهم تأمين حياتهم وأموالهم مقابل تسليم المدينة ولكن سرعان ما نشب الخلاف بين بلدوين أوف بورج وبوهيموند النورماندى حول أيهما يرفع رايته أولاً على المدينة وبينما هما مستغرقان في خلافهما إذا بقوات سقمان بن ارتق وجكرمش التي توحدت مقًا تباغتهما عند حران وتقطع عليهما آمالهما في الاستيلاء على المدينة[٣] ، وتدور بين الفريقين رحى حرب ضارية دارت

=للقدس السابق الذى كان مقيمًا بأنطاكية وبرنارد أوف فاليس بطريرك أنطاكية اللاتيني. راجع :

William of Tyre, Op. Cit., p. 456; Albert, d'Aix, Op. Cit., p. 614; C.F. also, Stevenson, the Crusaders in the East, Cambridge, 1907, p. 77.

وعن مواقع حران راجع الخريطة رقم (١).

[٢] والجدير بالذكر أن رحى الحرب الأهلية دارت بين السلطان محمد وأخيه السلطان السلجوقي بركيا روق التي امتدت منذ ١٠٩٨ - ١١٠٤م / ٤٩٢ - ٤٩٧هـ.

ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث. راجع :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٨، ص ١٩٣.

في حين غرقت حران أيضًا في حرب أهلية إذ كانت المدينة لأحد مماليك السلطان ملكشاه ويدعى قراجا، الذى أناب عنه بها محمد الأصفهاني، الذى قام بمساندة الأهالي للتخلص من قراجا الذى أساء السيرة مع أهالي المدينة وبعد أن تخلص منه انقلب على أتباعه بحران فتخلص منهم جميعًا باستثناء غلام له يدعى جاول الذى تآمر عليه وقتله وهو سكران، ولمزيد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٨، ص ٢٢١.

[١] Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 71; William of Tyre, Op. Cit., p. 457; Michel -le Syrien, La Chronique de Michel Le Syriem, 3 vols, Tr ed by J.B. Chabot Paris, 1905, p. 195.

[٢] Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 72; William of Tyre, Op. Cit., p. 458.

عندما علم كل من معين الدولة سقمان بن أرتق التركي أمير ساروج وحصن كيفا وشمس الدولة جكرمش أمير الموصل بحصار الفرنج لحران تناسيا خلافاتهما ووحدا قواتهما للتصدى للفرنج وسارت قواتهما لحصار مدينة الرها ولمزيد من التفاصيل راجع سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، جـ٨، ق١، =

دائرتها على قوات الرها الصليبية بينما ولت القوات الأنطاكية الأدبار منهزمة صوب الرها لتحتمي بها من جهة، ولتنظم شئون الدفاع عنها ضد الهجوم الإسلامي المرتقب من جهة أخرى[١] .

وكان من نتيجة تلك المعركة أن سقط عدد كبير من الصليبيين بين قتيل وأسير[٢] ، وكان على رأس الأسرى الكونت بلدوين أوف بورج أمير الرها وتابعة جوسلين أوف كورتناى Joscelyn of Courtenay اللذين احتفظا بهما الأمير جكرمش[٣] والذى قام بالتوجه صوب الرها فى محاولة منه لاستعادتهما من أيدى الصليبيين منتهزًا تلك النكبة التى ألمت بهم والتى راح ضحيتها خيرة قوات الإمارة وقد ألقت القوات الإسلامية الحصار على المدينة وشددت من هجومها لتجبر أهلها على الاستسلام[٤] .

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ص ١٩ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ٩جـ، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٨ - ١٣٩١هـ، جـ ٥، ص ١٨٨؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١١.

(١) Matthieu d'Edesse, Op.Cit., p. 72; William of Tyre, Op. Cit., p. 458; Raoul de Caen, Op. Cit., p. 717; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 612; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 195.

انظر أيضًا :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٢١؛ سبط بن الجوزى : المصدر السابق، جـ ٨، ق ١، ص ٩؛ أبو المحاسن : المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٨٨.

(٢) Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 72; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 615; William of Tyre, Op. Cit., p. 459.

انظر أيضًا :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١١٤٣؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ص ٢٢١؛ ابن العديم : المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٣) الثابت أن قوات سقمان بن أرتق هى التى أسرت الرجلين، إلا أن اتباع جكرمش هجموا على عربة سقمان وأعملوا الأسيرين. وكادت الحرب تنشب بين الأميرين المسلمين إلا أن سقمان تخلى بقسط وافر من ضبط النفس وأمر قواته بعدم مهاجمة قوات جكرمش، وللمزيد من التفاصيل انظر : ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٢٢.

(٤) Albert d'Aix, Op. Cit., p. 616.

وأثناء فترة حصار المدينة التى استغرقت قرابة أسبوعين أرسل الأمير تانكريد -الذى تولى مسئولية الدفاع عن الرها- إلى خاله بوهيموند فى أنطاكية يطلب منه العون والنجدة ضد القوات الإسلامية المحاصرة[1]، ولما أبطأت عليه النجدة و لم يكن بوسعه دفع القوات الإسلامية عن الرها لم يجد أمامه سوى القيام بهجوم يائس ضد القوات الإسلامية وقبل انبلاج الفجر وفى ظلمة الليل خرجت القوات الصليبية من الرها لتباغت القوات الإسلامية التى لم تتوقع مثل هذا الهجوم فنشرت فيها الرعب والفزع، وأحيرتها على الفرار دون نظام، وتصادف وصول النجدة الأنطاكية فاشتركت مع صليبى الرها فى الهجوم ونجحوا فى قتل عدد كبير من المسلمين وأسر عدد آخر[2]. وكان من بين الأسرى أميرة رفيعة القدر كانت فى معية الأمير جكرمش، وقد عرض الأخير على الصليبين افتداءها بخمسة عشرة ألف بيزانت أو مبادلتها بالكونت بلدوين نفسه، وقد حث ملك بيت المقدس الأسيرين بوهيموند وتانكريد -عندما وصلته تلك الأنباء- على ضرورة اغتنام تلك الفرصة والعمل على إطلاق سراح الكونت بلدوين إلا أنهما أجابا بأن التلهف على قبول العرض يخلو من الدبلوماسية، وربما يؤدى التردد إلى أن يرفع جكرمش من قيمة الفدية وفى الوقت ذاته كانا يعدان الترتيبات لاستلام الفدية وبقى بلدوين أسيراً[3].

ومهما يكن من أمر وعلى الرغم من أن الصليبين قد ثاروا لهزيمتهم

---

[1] اختار أهل الرها تانكريد حاكمًا عليهم شريطة أن يتخلى عن الإمارة بمجرد إطلاق سراح الكونت بلدوين، فى حين عاد بوهيموند إلى إمارته.

لمزيد من التفصيل انظر :

William of Tyre, Op. Cit., p. 459; cf. also, Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume Francde Jerusalem, 3 Vols., Paris, 1948, V.1, p. 407.

[2] ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ١٨، ص ٢٢٢.

انظر أيضًا :

Albert d'Aix, Op. Cit., pp. 616 - 17.

[3] Albert d'Aix, Ibid, p. 618.

عند حران إلا أن خلافهم كان أعمق أثرًا من مجرد انتصارهم عند الرها، إذ ضاعت مدينة حران التي كانت لقمة سائغة بين أيديهم لا لقوة المدينة وبسالة أهلها، ولا لضعف الصليبيين وقلة عددهم بل لخلافهم وأنانيتهم وإن كان بلدوين أوف بورج وبوهيموند قد التقيا على وحدة الهدف، إلا أن ما انطوى عليه صدريهما كان أكبر من مجرد وحدة ظاهرية وهكذا ضاعت حران من بين أيديهم بما تمثله من أهمية استراتيجية لهم وبقيت شوكة في حلقهم وقاعدة أمامية للمسلمين ينطلقون منها لشن هجماتهم على الأمارات الصليبية الشمالية. ولما كان بوهيموند قد اختلف مع بلدوين أوف بورج عند حران حول أيهما يرفع رايته أولاً على المدينة، فإنه من الطبيعي ألا يسعى الأول إلى إطلاق سراح الأخير بعد أسره وإن حثه ملك بيت المقدس على القيام بذلك، إذ كان من مصلحة الأمير بوهيموند أن يبقى الكونت بلدوين أسيرًا وأن يحصل هو على الفدية القيمة لسد حاجته المالية، هذا من جهة، كما كان بقاء الكونت بلدوين أسيرًا يضمن بقاء تانكريد بعيدًا عنه حاكمًا للرها من جهة ثانية، ومجاورة تانكريد لأمارة أنطاكية أحب إليه من مجاورة الكونت بلدوين له من جهة ثالثة، وبذا يكون بوهيموند قد أذاق بلدوين من نفس الكأس الذي شرب منه من قبل، كما كان من مصلحة تانكريد أيضًا أن يظل الكونت بلدوين في الأسر ليحتفظ هو بحكم الرها من جهة، وحتى لا يعود إلى أنطاكية ليصبح مرة ثانية بين يدي خاله من جهة أخرى، وخير دليل يثبت صدق ما ذهبنا إليه ما أشارت إليه المصادر العربية من أن القوات الأنطاكية لم تشترك بدور فعال في الحرب عند حران وكأنها تعمدت التغرير بقوات الرها وقائدها[1].

هذا و لم تتوقف النتائج المترتبة على اختلاف الصليبيين وهزيمتهم عند

---

[1] ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

حران على ما سبقت الإشارة إليه فحسب، بل نجد المسلمين يتشجعون -مما أحرزوه من نصر- على مهاجمة الممتلكات الصليبية في أنطاكية، فقام رضوان أمير حلب بمهاجمة حدود الإمارة واستعادة عدد من الحصون التابعة لها، وانتهز الأرمن المقيمين شمال الإمارة الفرصة كذلك للتآمر ضد الصليبيين والعمل على الإطاحة بحكمهم[1]، كما لم يدع الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الأول (١٠٨١-١١١٨م/ ٤٧٤-٥١٢هـ) Alexius I Comnenus تلك الفرصة تفلت من بين يديه دون أن يستفيد منها فنجده ينجح في استعادة مدن قليقية: أذنة وطرسوس والمصيصة، كما استطاع الأسطول البيزنطي الاستيلاء على مرفأ اللاذقية وأجزاء من المدينة، وإزاء تلك الخطوب التي كانت تحدق بالإمارة من كل مكان قرر بوهيموند الرحيل إلى الغرب لطلب العون والمساعدة وتولى تانكريد الوصاية على الإمارة (١١٠٤-١١١٢م/ ٤٩٨-٥٠٥هـ) لحين عودته بعد أن أناب عنه في الرها ابن عمه وصهره ريتشارد كونت سالرنو Richard of Salerno[2].

ولعله لا يجانبنا الصواب إذا قلنا أنه لو لم يكن ذلك الخلاف الذي دب بين بلدوين لوف بورج أمير الرها وبوهيموند أمير أنطاكية عند حران ما وقعت معركة حران من الأصل، أو إن قدر لها أن تقع لكانت نتائجها بالتأكيد غير تلك النتائج السابقة إذ كان بوسع الصليبيين أن يتحصنوا بحران بعد دخولها

---

(1) تمكن المسلمون من استعادة عدد من الحصون منها : أرتاح، معرة مسرين، معرة سرمين. كما عزل المقاطعات الأرمنية الصغيرة الموجودة في معرة النعمان وقبارة وكفر طاب فانسحبت إلى أنطاكية كما حاول الأرمن في شمال أنطاكية التمرد على الحكم الفرنجي والتحالف مع المسلمين إلا أن بوهيموند نجح في القضاء على هذا التمرد في مهده وذلك بإلقاء القبض على زعماء الأرمن وسجنهم. ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث، راجع :

Raoul de Caen, Op. Cit., p. 712.

وانظر أيضاً : ابن العديم : المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٦٩.

(2) William of Tyre, Op. Cit., p. 460; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 73; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 195; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 616.

ولكان لديهم الوقت الكافى لترتيب صفوفهم استعدادًا للقاء مرتقب بدلاً من أن يفاجئهم المسلمون ويجبروهم على خوض معركة قد أعدوا لها سلفًا، وما تعرضت إمارتا الرها وأنطاكية لتلك المخاطر التى واجهتهما وعرضتهما لخطوب جسيمة، وما سقط ذلك العدد الكبير من القتلى والأسرى فى صفوف الصليبيين، الأمر الذى جعل المؤرخ متى الرهاوى يذكر أن «جثث الأرمن ودمائهم غطت سطح الأرض فى حين امتلأت أيدى التركمان بالغنائم»[١]. أما المؤرخ اللاتينى وليم الصورى فذكر «لم نقرأ خلال حكم اللاتين فى المشرق قبل أو بعد ذلك الحدث عن معركة قادحة الخسارة كهذه التى ترتب عليها مذبحة مروعة للشجعان وهروب مشين لأبناء جنسنا»[٢].

ولاشك فى أن اتحاد سُقمان بن أرتق وجكرمش وما أحرزاه من نصر على الفرنج لم يقض على أسطورة الجيش الصليبى الذى لا يقهر والتى استحوذت على قلوب المسلمين منذ مجىء الصليبيين إلى الشرق فحسب، بل كان باكورة للوحدة الإسلامية فى المشرق ضد الخطر الصليبى.

ومهما يكن من أمر فقد ظل بلدوين قرابة أربع سنوات فى غياهب السجن إلى أن أطلق الأمير جاولى سراحه عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ مقابل مبلغ كبير من المال[٣]، وعلى الفور توجه بلدوين صوب أنطاكية حيث يقيم

---

(١) Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 72.

(٢) William of Tyre, Op. Cit., p. 459.

(٣) من الثابت أن الأمير جوسلين أوف كورتناى أطلق سراحه أولاً فى مقابل مبلغ عشرين ألف دينار، فى حين أطلق سراح بلدوين أوف بورج بعد ذلك فى مقابل مبلغ كبير من المال اختلفت المصادر فى تحديده.

ولمزيد من التفاصيل عن كيفية إطلاق سراحهما ومقدار الفدية انظر :

Albert d'Aix, Op. Cit., p. 648; A.S.C "The First and the Second Crusade" ed. and Tr. by A.S. Tritton, The Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1933, Part. 1, pp. 69 - 101, p. 81; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 85; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 195.=

تانكريد -الوصي الرسمي على إمارة الرها- وطلب منه سداد قيمة الفدية واستعادة إمارته فوافق تانكريد وقدم له مبلغ ثلاثين ألف قطعة ذهبية وبعض الهدايا الأخرى ولكنه رفض إعادة الرها إليه. فذهب بلدوين مغاضبًا إلى تل باشر حيث يقيم تابعه جوسلين أوف كورتناى وبدأ الاثنان يعدان العدة لحرب تانكريد، وأرسل بلدوين يستنجد بجاولى والأتراك من ناحية، وكوغ باسيل والأرمن من ناحية أخرى[1]، وقد استجاب كوغ باسيل لبلدوين على الفور، حيث أرسل إليه ألفين من المشاة وألفًا من الخيالة ردًا على طلبه، أما تانكريد فقد استدعى لمؤازرته رضوان ملك حلب وزحف معه إلى تل باشر حيث دارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة تانكريد وسقوط عدد من قواته صرعى وعاد أدراجه إلى أنطاكية، بينما عاد رضوان إلى حلب[2].

وعندما وصل الأمر إلى هذا الحد من العداء وحرصًا على الكيان الصليبي في الشرق تدخل النبلاء وكبار قادة الصليبيين وأخذوا على عاتقهم مهمة التوفيق بين الطرفين ونجحوا في عقد صلح بينهما بواسطة بطريرق أنطاكية فتخلى تانكريد عن الرها لبلدوين الذى عاد لإمارته مرة ثانية في ١٨ سبتمبر ١١٠٨م / ٩ صفر ٥٠٢هـ[3].

- انظر أيضًا : ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٨، ص ٢٥٣.

(1) A.S.C., p. 82.

انظر أيضًا : ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

كوغ باسيل هو أمير مدينة كيسوم وشقيق الأمير باكراد وفي ١١١٧ م قام بلدوين الثاني بتحريره وأخيه من ممتلكاتهما بكيسوم ورهبان. انظر :

William of Tyre, Op. Cit., V.1, p. 188; C.F., also, Grousset, Op. Cit., p. 54.

(2) ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٥٤، ابن العديم : المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٥٢.

انظر أيضًا :

William of Tyre, Op. Cit., V.1, p. 474; A.S.C., p. 82.

(3) William of Tyre, Op. Cit., V.1, pp. 474 - 75; A.S.C., p 82.

انظر أيضًا : ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٥٤.

كان هذا الصلح الذى تم بين تانكريد وبلدوين صلحًا ظاهريًا بينما ما انطوى عليه صدريهما كان أكبر؛ إذ أضمر كل واحد منهما البغض للآخر وإن تظاهرا بعكس ذلك. ولم يمض وقت طويل حتى بدا ما كانا يخفيان من قبل؛ إذ سارع بلدوين وجوسلين لنجدة الأمير جاولى ضد رضوان أمير حلب الذى سارع تانكريد لمساعدته[1] ودارت بين الفريقين -الذى ضم كل منهما مزيج من الصليبيين والمسلمين- معركة دامية تمكنت قوات جاولى فى بادئ الأمر من التصدى لفرنج أنطاكية وكبدتهم خسائر فادحة، وحينما لاحظ البدو فى جيش جاولى ما أعده فرسان بلدوين من الحيل على سبيل الاحتياط تناسوا -أمام هذا الإغراء- ما أتوا من أجله وقاموا بأخذ الجياد وفروا بها، وعندما شاهدهم الترك ولوا أيضًا مدبرين وتركوا مواقعهم ولم يبق فى ساحة القتال سوى بلدوين وجوسلين اللذين اضطرا أيضًا إلى الهرب بمن تبقى معهما من الجنود. وكادا أن يقعا فى الأسر ولكنهما استطاعا الهرب بشق الأنفس وانجلت المعركة عن هزيمة منكرة لجاولى وحلفائه ومقتل ألفى رجل من الجانبين[2].

ولنا أن نتساءل لصالح من مُنى الصليبيون بهذه الخسائر البشرية والمادية؟ هل لصالح القضية التى زعموا أنهم جاءوا من أجلها ؟ أم بسبب

---

[1] ترجع أسباب الخلاف بين جاولى ورضوان إلى قيام رجال الأمير بالاعتراض قافلة كانت مرسلة من قبل بلدوين أوف بورج إلى جاولى ومعها الأموال التى كانت تتضمن جزءًا من فدية بلدوين كان قد أرسلها من تل باشر كما أن رضوان لم يرض الضرائب على الرقة التى كان جاولى يعتزمها ضمن ممتلكاته فاستشاط جاولى غيظًا لما حدث وقام بالزحف على بالس وأعطاها من رضوان فى سبتمبر ١١٠٨م / صفر ٥٠٢هـ. ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث راجع :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٥٥.

انظر أيضًا : رانسيمان : تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين عليل، جـ٢، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م ص١٤٥ - ٤٦.

[2] ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة.

C.F. also, Albert d'Aix, Op. Cit., p. 649.

خلافاتهم نتيجة لأطماعهم الشخصية؟ وإذا غضضنا الطرف عن قتال الصليبيين بعضهم لبعض رغم بشاعته، فهل نصرة المسلمين -أعدائهم في الدين- تخدم قضيتهم وتستحق منهم أن تزهق من أجلها آلاف الأرواح من الصليبيين ؟

مما لا شك فيه أن الخلافات بين الصليبيين لم تكن تخفى على المسلمين الذين استغلوها لصالحهم، بل إن انعدام الثقة بين الصليبيين نتيجة خلافاتهم أدت إلى أن يرتابوا في بعضهم البعض، إذ اتهم بلدوين تانكريد أنه أوعز إلى الامير مودود[1] -أمير الموصل- بمهاجمة إمارة الرها عام ١١١٠م / ٥٠٣هـ، ولما اشتد حصار المسلمين للرها أرسل أميرها تابعة جوسلين أوف كورتناى إلى ملك بيت المقدس -الذى كان يحاصر بيروت وقتئذ- يطلب منه العون والمساعدة، وقد سارع الملك -بعد استيلائه على بيروت- بالتوجه شمالاً لنجدة الرها متجنبًا المرور بأنطاكية لعدم ثقته في أميرها تانكريد[2].

وعندما وصل الملك بلدوين إلى الرها اضطر مودود إلى رفع الحصار عن المدينة والعودة من حيث أتى[3]، وعليه فقد أرسل الملك يستدعى تانكريد

---

[1] قام الأمير شرف الدين مودود بثلاث حملات عسكرية كانت الأولى ضد الرها في عام ١١١٠م / ذى القعدة ٥٠٣هـ، ولم يسارع تانكريد بعد عودة بلدوين في تلك الحملة، ولمزيد من التفاصيل راجع :
William of Tyre, Op. Cit., V.1, p. 463; Albert d'Aix, Op. Cit., p. 670; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., pp. 91 - 93.
انظر أيضًا : ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١٦٧ - ١٦٨؛ سبط بن الجوزى : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٩٠.

[2] Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 91; Albert d'Aix, Op. Cit., Loc. Cit.

[3] والجدير بالذكر أن الأمير مودود عندما رأى الصليبيين تتوالى على الرها انسحب إلى حران لاستدراج الصليبيين ومنازلتهم في أرض مكشوفة إلا أن الصليبيين أحجموا عن تتبع المسلمين فاضطر مودود إلى العودة إلى بلاده.
ولمزيد من التفاصيل راجع :
Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 93.
انظر أيضًا :
محمد محمد الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار الفكر، ١٩٧٢م، ص ٢١٣.

لكى يرد على الاتهامات التى وجهها إليه بلدوين أوف بورج، وبعد تردد أذعن تانكريد إلى طلب الملك وفور حضوره وجه اتهامات مضادة[1] إلى أمير الرها، وقد طلب الملك منه التصالح، وفى حالة رفضه ذلك واستمراره فى كيد المكائد مع الأتراك فسوف يلقى حربًا لا هوادة فيها باعتباره عدوًا للصليبيين، وأيد الفرسان المجتمعون ما قاله الملك، فاضطر تانكريد إلى التصالح[2].

وما كاد ينتهى الخلاف بين بلدوين أوف بورج وتانكريد حتى تفجر خلاف آخر بين بلدوين أوف بورج وتابعه جوسلين أوف كورتناى أمير المعاقل الفراتية، إذ اتهم الأول تابعه بالتقاعس عن مد يد العون لإمارته على إثر ما لحق بها من تخريب ودمار على أيدى قوات موصول الذى تعمد إحراق وتدمير الأراضى الزراعية والحدائق المحيطة بالرها مما أدى إلى خلق وضع اقتصادى حرج للإمارة[3].

حقيقة أن تعرض إمارة الرها للتدمير والتخريب وإتلاف محاصيلها أمر لا شك فيه ولكن اتهام جوسلين أوف كورتناى بالتقاعس عن مساعدة إمارة الرها وسيدها أمرٌ مشكوك فيه وآية ذلك أن جوسلين بذل قصارى جهده من أجل مساعدة سيده؛ فقد ذهب بنفسه مبعوثًا إلى الملك بلدوين الأول طلبًا لمساعدته ضد هجوم الأمير موصول عام ١١١٠م / ٥٠٣هـ، كما أنه شارك القوات الصليبية المتحدة فى تصديها لقوات موصول، هذا فضلاً عن أنه نجح فى إحباط مؤامرة دبرها الأمير موصول مع بعض أرمن الرها الذين كانوا يتولون

---

(1) ذكر متى الرهاوى أن كونت الرها هو الذى قام باستدعاء أمير الموصل لمعاضدته ضد تانكريد.
C.F. Matthieu d'Edesse, Op. Cit., Loc. Cit.

(2) Albert d'Aix, Op. Cit., p. 672; William of Tyre, Op. Cit., p. 463; Matthieu d'Edesse, Op Cit., Loc. Cit.

(3) William of Tyre, Op. Cit., pp. 498-99; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., pp. 93-94; A.S.C., p. 83.

انظر أيضًا : سبط بن الجوزى : المصدر السابق، ص ٢٩١.

حراسة بعض أبراج المدينة ونجح فى إجهاضها فى الوقت المناسب ولولا ذلك لتمكنت القوات الإسلامية من دخول المدينة عام ١١١٢م / ٥٠٥هـ[١] . ولعل السبب الحقيقى وراء الخلاف بين الرجلين يرجع إلى عامل الحقد والحسد والكراهية الذى يُكنه بلدوين لتابعه جوسلين، ففى الوقت الذى أصبحت فيه إمارة الرها تعانى من آثار التخريب والتدمير لم تتعرض ممتلكات جوسلين أوف كورتناى لأى أذى بل حاز سيدها من الشهرة والثروة ما لم يتمتع به سيده، لذا فقد أسرّ بلدوين هذا الأمر فى نفسه ولم يبده لأحد انتظارًا لفرصة مواتية، والتى سرعان ما واتته فعندما أرسل سفارة من قبله إلى أنطاكية مرت تلك السفارة بتل باشر حيث يقيم جوسلين الذى أحسن وفادتهم ونزلهم، إلا أن بعض أتباعه عندما انفردوا بالمبعوثين أهانوهم ووجهوا نقدًا لاذعًا إلى سيدهم بلدوين الذى غدا فى رأيهم غير صالح لحكم البلاد، وأن الحكمة تقتضى أن يبيع إمارته للأمير جوسلين ويحصل على مبلغ كبير من المال يعود به إلى فرنسا[٢] . وعندما علم بلدوين بذلك الأمر لميز من الغيظ واستدعى على الفور تابعه بحجة التشاور فيما يخص شئون الإمارة وعندما مثل بين يديه قام بالقبض عليه وزج به فى غياهب السجن، وأذاقه صنوفًا شتى من العذاب. وتحت وطأة التعذيب اضطر جوسلين أوف كورتناى إلى التنازل عن إقطاعه والتجرد من ممتلكاته فى مقابل إطلاق سراحه ثم يمم وجهه شطر بيت المقدس حيث الملك بلدوين الأول الذى رفق به ومنحه حكم إقليم الجليل تعويضًا عما فقده وذلك فى ١١١٣م / ٥٠٧هـ[٣] ، ومما يدعو للسخرية أن نرى الأمير بلدوين

---

(١) Albert d'Aix, Op. Cit., p. 670; Matthieu d'Edesse, Op. Cit., pp. 101 - 2, A.S.C., p. 83.

انظر أيضًا : ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit.

(٣) Matthieu d'Edesse, Op. Cit., p. 126; William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit.

نفسه يستدعى جوسلين مرة أخرى لا ليعيد إليه ما سلبه منه فحسب، بل ليُسند إليه حكم إمارة الرها. وذلك عندما استدعى ليكون ملكًا على بيت المقدس في عام ١١١٨م / ٥١١هـ[١]. أى أن المصلحة الشخصية هى التى دفعته فى الأول لتجريد تابعه من إقطاعه وهى التى دفعته فى الثانية لإعادته لحكم الإمارة بأسرها.

ومما يلفت الانتباه أن خلافات الصليبيين قد قلت كثيرًا خلال الفترة الممتدة من ١١١٣ - ١١٢٧م / ٥٠٧ - ٥٢١هـ. و لم يكن معنى ذلك أن الصليبيين قد ترفعوا عن مطامعهم الشخصية ونبذوا ما بينهم من أحقاد جانبًا، ولكن كانت هناك عدة عوامل أجبرتهم على ذلك، منها على سبيل المثال شعورهم جميعًا بالخطر المحدق بهم والذى بات يهدد بقاءهم فى الشرق وأعنى به ظهور حركة الجهاد المقدس التى حمل لواءها عدد من القادة المسلمين أمثال الأمير شرف الدين مودود[٢] والبرسقى[٣] وبرسق بن

---

(١) William of Tyre, Op. Cit., p. 520; Michel Le Syrien, Op. Cit., p. 196.

(٢) قام السلطان محمد بن ملكشاه ١١٠٥ - ١١٠٨م / ٤٩٩ - ٥١٢هـ بإنقاذ قائده شرف الدين مودود للشام على إثر استغاثة ظهير الملك بن عمار أمير طرابلس به وكان الفرنج قد حاصر إمارته. فقام مودود فى سبتمبر ١١٠٨م / صفر ٥٠٢هـ بأعمال الموصل من بعد حاول وشرع فى الجهاد الدينى ضد الصليبيين بالشام. وقام بثلاث حملات عسكرية فى الفترة ما بين عامى ١١١٠ - ١١١٣م حتى قتل على أيدى الباطنية فى جامع دمشق، ولمزيد من التفاصيل انظر :

أبو المحاسن : المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٩٩ - ٢٠١، سبط بن الجوزى : المصدر السابق، ص ٤٩١؛ ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ١٦٧ - ١٦٨، ص ١٧٤ - ١٧٥؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر، ص ١٧ - ١٨.

انظر أيضًا :

Fulcher of Chartres, Op. Cit., pp. 201 - 2; William of Tyre, Op. Cit., V I, p. 463, Albert d'Aix, Op Cit., pp 670, 680 - 81, A.S.C., pp. 73, 82 - 83; Matthieu d'Edesse, Op Cit., T I, p. 91 - 94.

(٣) قام السلطان محمد بعد مقتل الأمير مودود بتولية أقسنقر البرسقى حاكمًا على الموصل والجزيرة وذلك فى عام ١١١٤م/٥٠٨هـ وقد أمره بحمل راية الجهاد ضد الصليبيين ولمزيد من التفاصيل عن جهاده=

برسق[1] و ايلغازى[2] وبلك بن بهرام[3]، الأمر الذى جعل الأمراء الصليبيين يبذلون خلافاتهم للتصدى لهذا الخطر، وفضلاً عما سبق كان هناك عامل آخر

= انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٧٣؛ ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، جـ ١، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٢٩، انظر أيضًا :

محمد محمد الشيخ : المرجع السابق، ص ٢٣٥.

[1] برسق بن برسق : وبرسق هذا سليل أسرة عرفت بإخلاصها للسلاجقة وكان أبوه من أكابر الأمراء ومن أصحاب السلطان ملكشاه وهو أول شحنة كان ببغداد قتل على يد أحد الباطنية فى شهر رمضان سنة ٤٩٠هـ / أغسطس سنة ١٠٩٧م وبقى أبناؤه وخاصة ارنكى وايلبكس وبرسق على ولائهم للسلاجقة وقد اشترك برسق مع مودود فى قتاله ضد الفرنج ثم اعتزل بعد عزل الموصلى عن الموصل سنة ٥١١٤م / ٥٠٨هـ لحمل راية الجهاد ضد الصليبيين، ولمزيد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

انظر أيضًا : محمد محمد الشيخ، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

[2] وايلغازى هو الابن الثانى لارتق بن أكسب وكان قد انصرف بعد طرده وأخيه سقمان من بيت المقدس إلى بغداد، فشارك فى إحداث الفتنة بين الأخوين بركيارق ومحمد، ثم عين شحنة للعراق، ولمزيد من التفاصيل انظر :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ٢٠٦؛ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٢٢٩؛ ابن العديم: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٩٦ - ١٩٧.

انظر أيضًا :

Matthieu d'Edesse, Op. Cit., T.1, pp. 126 - 27, 131.

انظر أيضًا :

محمد محمد الشيخ : المرجع السابق، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

[3] وبلك هذا هو نور الدولة بلك بن بهرام الأرتقى كان من أنشط أفراد البيت الأرتقى. وقد سبق له حكم سميساط وسروج، وعندما أسلمها للفرنج التحق من جديد بخدمة الملك وشارك عمه فى حروبه ضد الفرنج ثم ورثه بعد موته فى هذه المهمة.

لمزيد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ٣٠١، ٣١٥؛ ابن العديم : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٠٦، ٢١٩؛ سبط بن الجوزى : المصدر السابق، جـ ٣، ص ٤٠٩

انظر أيضًا :

Matthieu d'Edesse, Op. Cit., T 1, pp. 131 - 33; A.S.C., pp. 90 - 1; Fulcher of Charter, Op. Cit., pp. 237, 247; William of Tyre, Op. Cit., V.1, pp. 540 - 42.

ألف بينهم وزاد من ارتباطهم ألا وهو رابطة المصاهرة؛ فقد تزوج روجر Roger -الذى خلف تانكريد فى حكم أنطاكية (١١١٢- ١١١٩م/ ٥٠٦- ٥١٢هـ)- من أخت بلدوين أوف بورج أمير الرها، وتزوج برنز Pons أمير طرابلس ١١١٣- ١١٣٧م/ ٥٠٧- ٥٣٢هـ من أرملة تانكريد وأصبح صديقًا حميمًا لروجر، كما تزوج جوسلين أرف كورتناى من ماريا Marie أخت الأمير روجر[١] ، ووحد بين هؤلاء الأمراء اتفاقهم على اعتبار الملك بلدوين سيدهم الأعلى وكان ذلك تضامنًا ناجح الحدوث، وهناك عوامل أخرى منها موت بعض الأمراء، ووقوع البعض الآخر فى الأسر، ووضع الإمارات الصليبية تحت الوصاية لفترات متفاوتة مما أدى إلى الحد من خلافات الصليبيين[٢] .

ومهما يكن من أمر فما أن تولى بوهيموند الثانى Bohemond II حكم أنطاكية عام ١١٢٦- ١١٣٠م/ ٥٢٠- ٥٢٤هـ حتى دب الخلاف بينه وبين أمير الرها جوسلين أرف كورتناى إذ كان كل منهما غيورًا من صاحبه، فقد حصل جوسلين بموجب هدنة مع البوسقى على مقاطعات كانت تابعة لإمارة أنطاكية من قبل[٣] ، وزاد من شدة الخلاف أن زوجته الأميرة ماريا قد حصلت على وعد بأن يكون مهرها مدينة عزاز[٤] ، بينما اعتبر بوهيموند أن

---

(١) A.S.C., p. 90; Fulcher of Chartes, Op. Cit., p. 251 n. 8.

(٢) فعلى سبيل المثال لقى روجر الأنطاكى مصرعه فى معركة ساحة الدم على أيدى الغازى سنة ١١١٩م وأسر كل من جوسلين الأول أمير الرها والملك بلدوين الثانى على أيدى بلك بن بهرام ١١٢٣م ووقعت إمارة الرها وأنطاكية وكذلك مملكة بيت المقدس تحت الوصاية لفترات متفاوتة من الزمن.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة بين البوسقى وجوسلين الأول. انظر :

ابن العديم : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٣١ - ٢٣٢،

انظر أيضًا :

Nicholson, Op. Cit., p. 77.

(٤) A.S.C., p. 90; William of Tyre, Op. Cit., Vol.2, p. 34.

وعزاز بليدة فيها تنعة وخلرستاق شمال حلب وهى طيبة الهواء، عذبة الماء. راجع : ياقوت الحموى: المصدر السابق، ص ١١٨.

روجر لم يكن سوى الوصيّ باسمه ولا حق له في أن يهب أرضًا بأنطاكية ورفض الاتفاق، ونتيجة ذلك وجه جوسلين جنوده بمساعدة المرتزقة الأتراك للإغارة على القرى الأنطاكية القريبة من الحدود[1]. ورغم إعلان بطريرق أنطاكية حرمان إمارة الرها بأسرها إلا أن ذلك لم يردع جوسلين. ولولا تدخل الملك بلدوين وإرغامه الأميرين على التصالح عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ لتدهورت الأمور ولأصبح فرنج الشمال في موقف لا يحسدون عليه[2]، خاصة وقد تولى عماد الدين زنكي حكم الموصل وحلب ١١٢٧- ١١٤٦م/ ٥٢١- ٥٤١هـ، وأخذ على عاتقه مهمة الجهاد المقدس ضد الصليبيين، وتأجل الخلاف لحين من الوقت بين أنطاكية والرها حتى مقتل بوهيموند الثاني على أيدي الأتراك الدانشمند في فبراير ١١٣٠م / ربيع أول ٥٢٤هـ[3].

ولم تقتصر الخلافات بين الصليبيين على الرجال فقط، بل لعبت النساء دورًا هامًا فيها، فعلى إثر موت بوهيموند الثاني أمير أنطاكية أسرع الملك بلدوين من بيت المقدس متوجهًا صوب أنطاكية ليتولى تنظيم شئونها وتعيين

---

(1) William of Tyre, Op. Cit., Loc.Cit; C.F. also, Grousset, Op. Cit., V.1, p. 651.

(2) ولعل من الأسباب التي دفعت الملك بلدوين للصلح بين الأميرين هي أن كلا الرجلين كانا يمتان إليه بصلة القرابة فأحدهما ابن عمه والآخر كان صهره الذي زوجه ابنته حديثًا، ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit., C.F. also Stevenson, Op. Cit., p. 119.

ومن حسن الحظ أن جوسلين الأول لم يلبث أن مرض تعبًا وأحس أن مرضه ليس إلا عقابًا إلهيًا فوافق على أن يعيد إلى بوهيموند ما حازه من الغنائم، كما تخلى عن دعواه في عزاز وذلك بعد أن تم شفاؤه. ولمزيد من التفاصيل انظر:

Michel le Syrien, Op. Cit., p. 224.

(3) الجدير بالذكر أن بوهيموند لقي حتفه على أيدي الأتراك الدانشمند وذلك في فبراير ١١٣٠م، ولمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث، انظر :

William of Tyre, Op. Cit., Vol. 2, p. 43; A.S.C., p. 99.

انظر أيضًا :

ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٨، ص ٣٢٦.

الوصى عليها؛ إلا أن ابنته أليس Alice، مطموحة -أرملة بوهيموند- سبقته إلى ذلك وجعلت من نفسها الوصية على ابنتها كونستانس Constance، وعملت على الانفراد بالإمارة لا بوصفها الوصية فقط، بل الحاكمة لها كذلك، ولما علمت أليس بقدوم والدها الملك بلدوين الثانى خشيت أن تفلت الأمور من يدها؛ فأرسلت على الفور رسولاً إلى عماد الدين زنكى فى حلب تعلن له أنها على استعداد للاعتراف بسيادته إذا ضمن لها امتلاك أنطاكية، إلا أن رسولها وقع فى أيدى رجال أبيها فانفضح أمرها. و لما أدركت فشل مخططها عمدت إلى غلق أبواب المدينة فى وجه أبيها واستمالت إليها قلوب أهل أنطاكية بما أغدقته عليهم من خزائن الإمارة، ولعل الدماء الأرمينية التى كانت تجرى فى عروقها قد جذبت إليها قلوب المسيحيين المحليين بصفة خاصة إلا أن أمراء أنطاكية الصليبيين أبدوا امتعاضًا لتصرفها وعصوا أوامرها، وقاموا بفتح أبواب المدينة أمام قوات الملك بلدوين وجوسلين أوف كورتناى الذى أتى لمساعدة الملك. وقد احتمت أليس بأحد أبراج المدينة و لم تخرج منه إلا بعد أن ضمن لها وجهاء الإمارة سلامة حياتها، وعندما مثلت بين يدى الملك عفا عنها ولكنه أجبرها على التخلى عن الوصاية وألزمها البقاء فى مدينتى اللاذقية وجبلة اللتين منحهما بوهيموند الثانى مهرًا لها، كما قام بإسناد الوصاية إلى جوسلين أوف كورتناى -أمير الرها-[1] ثم عاد إلى بيت المقدس فى صيف ١١٣٠م / ٥٢٤هـ، حيث مات فى العام التالى ولحقه جوسلين أوف كورتناى فى نفس العام[2].

---

[1] لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث. راجع :

William of Tyre, Op. Cit., Loc. Cit., Michel le Syrien, Op. Cit., pp. 224, 230; A.S.C., p. 99.

وعن موقع مدينتى جبلة واللاذقية انظر الخريطة رقم (١).

[2] William of Tyre, Op. Cit., p. 45; A.S.C., pp. 99 - 100; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 232

انتهزت الأميرة أليس فرصة موت أبيها وعملت على إحياء مخططها القديم للانفراد بالوصاية وحكم أنطاكية، وحتى تضمن لخطتها النجاح جذبت إليها عددًا من الأمراء على رأسهم جوسلين الثاني أمير الرها ١١٣١- ١١٤٦م/٢٥- ٥٤١هـ، وبونز أمير طرابلس وغيرهما من القادة الصليبيين[1]، ولما علم صليبيو أنطاكية بما تخطط أليس أرسلوا على الفور يستدعون الملك فولك Foulque (١١٣١ - ١١٤٣م/ ٥٢٥- ٥٣٨هـ) الذي نهض على رأس جيشه متوجهًا صوب الشمال، وعندما وصل إلى طرابلس برًا رفض أميرها السماح له بالمرور عبر أراضيه فاضطر الملك أن يستكمل مسيرته بحرًا من بيروت إلى السويدية، وما كاد يصل إلى هناك حتى دخل في معركة دامية مع قوات الحزب المؤيد لأليس وعلى رأسهم الأمير بونز وتمكن من هزيمتهم وإن لم يتمادى في إنزال العقاب بهم نظرًا لقلة جنوده، وعليه فقد قبل اعتذار بونز وجوسلين الثاني وغيرهما من الأمراء، كما أجبر الأميرة أليس على القنوع بمدينتي جبلة واللاذقية، وأسند الوصاية إلى رينالد مازوار Rainald Masour كونستابل الإمارة، ثم عاد أدراجه إلى بيت المقدس[2].

وما كاد فولك يعود إلى بيت المقدس حتى نشب خلاف جديد كاد أن يُشعل نار حرب أهلية بين أمراء المملكة جميعًا؛ ذلك أن هيو الثاني Hugh II أمير يافا الذي تزوج من الأميرة إيما Emma أرملة ايوستاس جارنييه Eustace Grenier عام ١١٢٤م / ٥١٨هـ لم يكن على وئام مع ولديها ايوستاس الثاني Eustace II وريث صيدا وجوتييه الأول Gautier I ١١٢٣- ١١٤٩م/ ٥١٧ - ٥٤٤هـ وريث قيسارية لأنه يكبرهما

---

(1) William of Tyre, Op. Cit., pp. 43 - 4; Du Cange, Les Familles d'Outre - Mer, publiées Par M.E.G. Rey, Paris, 1869, p. 185; Cf. also, Seuon, K.M., A History of the Crusades, Vol 1, U.S.A., 1958,p. 433.

(2) William of Tyre, Op. Cit., pp. 54 - 55; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 233.

بقليل[١] ، ونظرًا لصلة القرابة التى كانت تربط بين هيو الثانى والملك بلدوين وابنته الأميرة الصغيرة ميليسند Melisend فقد أصبح من أهم أصدقائها المقربين[٢] ، و لم تنقطع العلاقة بينهما رغم زواج الأميرة ميليسند من فولك الأنجوى التى لم تحفل به مطلقًا -برغم حبه الكبير لها- بل ازدادت علاقة هيو بميليسند قوة بعد تربع فولك على عرش المملكة (١١٣١م/ ٥٢٥هـ)[٣] حتى كثر حولها القيل والقال وتمكنت الغيرة من الملك فولك وأشعل من أوارها التفاف عدد من أعداء هيو حول الملك وعلى رأسهم ايوستاس الثانى ووالتر حارنيه فزادوا من شكوكه؛ و لم يجد الأمير هيو أمامه سوى أن يجعل لنفسه حزبًا معارضًا، وسرعان ما تحزب نبلاء المملكة كلها بين الملك والكونت[٤] .

---

[١] هيو الثانى هو ابن هيو الأول من زوجته مايبلا وقد مرض هيو الثانى فى أبوليا أثناء توجه والديه إلى الشرق. فتركاه هناك فى بلاط برهيموند الثانى ابن عم مايبلا المباشر وظل هيو الابن مقيمًا فى أبوليا حتى مات والديه فأمر إلى الشرق للمطالبة بميراث أبيه فاحتفى به الملك بلدوين الثانى وسلمه إقطاع يافا ميراث أبيه، ولمزيد من التفاصيل انظر :

William of Tyre, Op. Cit., p. 70; C.F. also, Rohricht, Regesta Hierosolymitani, Innsbruck, 1893, doc. 104; La Monte, The Lords of Sidon in Byzantion, Vol XVII, pp. 188 - 90; La Monte, Lord of Caesarea, in the Period of the Crusades in Speculm, Vol. XX II, Cambridge, 1947, p. 147.

[٢] تعتبر أليس والدة هيو الأول خالة للملك بلدوين الثانى وبالتالى تصبح ميليسند ابنة عم هيو الثانى.

[٣] والمعروف أن الملك بلدوين الثانى أرسل سفارة إلى فرنسا لعرض مسألة زواج ابنته الكبرى ميليسند من أحد الأمراء الفرنسيين وقد وقع اختيار ملك فرنسا على فولك الخامس كونت أنجو ليكون الزوج المرتقب لميليسند ابنة الملك وقد قبل فولك هذا العرض إذ وعد بالقيام بزواجه من ابنة الملك خلال مدة لا تزيد عن خمسين يومًا من تاريخ وصوله إلى الشرق وربما لخلافة عرش بيت المقدس بعد موت الملك بلدوين أيضًا. وقد أصبح فولك بالفعل ملكًا على بيت المقدس وتزوج هو وزوجته ميليسند فى ١٤ سبتمبر ١١٣١م وتم تتويجهما حسب العرف المتبع فى كنيسة القيامة من قبل وليم بطريرك بيت المقدس. ولمزيد من التفاصيل عن شخصية فولك انظر :

William of Tyre, Op. Cit., Vol. II, pp. 51 - 2; Roger of Wendover, Flowers of History, vol. I, London, 1848, p. 477; C.F. also, Grousset, Op. Cit., Vol. II, p. 851; Rey, Les Colonies Franques de Syrie, Aux, XI et X III Siecles, Paris, 1883, p. 13.

[١] W ... of Tyre. Op. Cit., pp. 71 - 72.=

وفى أواخر صيف ١١٣٢م / ٥٢٦هـ وبينما كان القصر الملكى يغص بأعداد كبيرة من الوجهاء والنبلاء اتهم جوتييه سيد قيسارية علنًا الأمير هيو الثانى أمير يافا وزوج أمه بالتآمر على حياة الملك فولك، ودعاه متحديًا إلى منازلته كى يبرئ ساحته فأنكر هيو التهمة وقبل التحدى، وحددت المحكمة العليا تاريخًا للنزال، وعاد كل منهما إلى إمارته ليجهز نفسه لذلك اليوم. وفى اليوم المحدد تغيب هيو عن المبارزة فأدانته المحكمة غيابيًا مما جعله يعيش فى ذعر دائم[1]، و لم يجد أمامه من يد سوى الالتجاء إلى حامية عسقلان الإسلامية طالبًا منها الحماية والأمن، فما كان من الحامية الإسلامية إلا أن أرسلت معه فرقة عسكرية أعادته إلى يافا بينما عاثت هى فسادًا فى الأراضى الصليبية، الأمر الذى أدى إلى تأليب الرأى العام الصليبى ضده، وتخلى مؤيدوه عنه، كما أسرع الملك فولك على رأس جيشه إلى يافا لتحديها فاستسلمت له المدينة على الفور، فى الوقت الذى تخلى فيه المسلمون عن هيو إذ وجدوا فيه حليفًا عقيمًا لا جدوى من ورائه[2]، فأسقط فى يده وأيقن أن لا مخرج أمامه سوى الاستسلام للملك فولك، و لم يكن عقابه عسيرًا نظرًا للعلاقة التى كانت تربطه بالملكة ميليسند ابنة عمه والتى بلا شك مارست ضغوطًا على زوجها الملك فولك فى هذا الأمر، كما كان الملك نفسه يرغب فى تهدئة الأمور؛ إذ أطلت أخطار الحرب الأهلية برأسها من جهة، واستغل الدماشقة الفرصة وانتزعوا بانياس من أيدى الصليبيين من جهة أخرى[3] ؛ وعليه فقد اكتفى بنفى هيو ثلاث سنوات

- انظر أيضًا :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ٤١٣٦؛ ابن العديم : المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٥١.

(1) لعل الملكة ميليسند هى التى أوعزت خير بالتغيب لشعورها بالخطر عليه أو ربما كانت زوجته لما هى السبب من وراء ذلك لأنها أدركت أنها لابد أن تفقد إما الزوج أو الابن أو ربما كان هيو هو نفسه الذى كان مدركًا لما ارتكب من إثم خائفًا من انتقام الرب.

(2) William of Tyre, Op. Cit., p. 73.

(3) استطاع شمس الملوك إسماعيل أمير دمشق من انتزاع بانياس من أيدى الصليبيين فى ديسمبر ١١٣٢م/-

يجوز له بعدها أن يعود إلى أراضيه وقد أعفى من العقوبة.

وبينما كان هيو يستعد للرحيل عن الشرق هاجمه أحد الفرسان الصليبيين في بيت المقدس وطعنه في رأسه وجسده طعنات قاتلة، وعلى الفور حامت الشبهات حول الملك فولك الذي أراد أن يبعد أصابع الاتهام عن نفسه فقبض على المعتدي وسلمه إلى المحكمة حيث اعترف بأنه قام بذلك بوحي من نفسه فحكم عليه بالإعدام[1]، ورغم ذلك ظلت الملكة ميليسند حانقة على زوجها الملك فولك و لم تغفر له ولا لحزبه المعارض لهيو هذه الفعلة، وظلوا لعدة أشهر يخشون على حياتهم فلا يسيرون إلا برفقة الحرس، ويقال أيضًا أن نفس الشعور كان ينتاب الملك فولك، وإن ظلت رغبته الوحيدة هي الفوز بالحظوة لدى زوجته فكان لا يعصى لها أمرًا بل يوافقها على كل ما تريد[2].

وإذا تركنا مملكة بيت المقدس وخلافاتها وعدنا إلى إمارتي الشمال الرها وأنطاكية نجد الخلاف يتفجر من جديد بين الإمارتين إذ استغل الأمير جوسلين الثاني فرصة تواجد الإمبراطور البيزنطي يوحنا كومنين John Commenus بالمنطقة (١١٣٨م / ٥٣٢هـ) وعمد إلى إيغار صدره ضد الأمير ريموند الثاني أمير أنطاكية Raymond II of Saint Gilles (١١٣٦- ١١٤٩م/

= صفر ٥٢٧هـ.

ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ١٣٦؛ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ١٣٣؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ٤جـ في ٢مجلدين، بيروت، بدون تاريخ، جـ٣، ص٤٧؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٢٧، تحقيق سعيد عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص٨٢.

(١) William of Tyre, Op. Cit., p. 74.

انظر أيضًا :

رانسيمان: المرجع السابق، جـ٢، ص٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) William of Tyre, Op. Cit., pp. 74 - 75.

٥٣٠-٥٤٤هـ) حتى يقلل من منزلة الأخير لدى الإمبراطور على حد قول المؤرخ وليم الصورى[1].

وقد ظلت العلاقات بين الأميرين هادئة ظاهريًا -رغم ما يضمره كل منهما للآخر من حقد وكراهية- إلى أن انكشف الأمر وأفصح كل منهما عن مكنون صدره، وذلك عندما حاصر عماد الدين زنكى الرها ١١٤٤م / ٥٣٩هـ إذ تقاعس ريموند الثانى عن مد يد العون لإمارة الرها، و لم تلق نداءات الاستغاثة التى طلبها جوسلين من أمير أنطاكية صدى لديه بل سُر وفرح لما نزل بالرها من شدائد، الأمر الذى أتاح لعماد الدين زنكى الفرصة الكاملة لحصار المدينة والاستيلاء عليها[2]، وحتى عندما لاحت لجوسلين الثانى الفرصة

---

(1) William of Tyre, Ibid., p. 97; Michel ler Syrien, Op. Cit., p. 245.

والجدير بالذكر أن تحالفًا تم بين الإمبراطور يوحنا كومنين (John Comnenus) وكلاً من الأمير ريموند الثانى أمير أنطاكية وجوسلين الثانى أمير الرها ضد المسلمين فى الشرق وكان يهدف إلى انتزاع حماة وحمص وحلب وشيزر من أيدى المسلمين ومنحها لريموند الثانى أمير أنطاكية فى مقابل تسليم الأمير أنطاكية إلى الدولة البيزنطية وقد انتهى هذا التحالف بالفشل الذريع أمام شيزر.

ولمزيد من التفاصيل راجع :

William of Tyre, Op. Cit., V.2, pp. 94 - 97.

انظر أيضًا :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ٢٦٦، ٢٦٣؛ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ ٨، ص ١٣٥٨ ابن العديم : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٦٥؛ ابن واصل : المصدر السابق، جـ ١، ص ٧٦.

(2) والثابت أن عماد الدين زنكى نجح فى استرداد الرها يوم السبت ٢٢ ديسمبر ١١٤٤م / ٢٦ جمادى الآخر ٥٣٩هـ. ولمزيد من التفاصيل عن استرداد الرها راجع :

William of Tyre, Op. Cit., V.2, p. 144; Gregoire Le pretre, Chronique de Gregoire le pretre, Ed. R.H.C. Doc. Arm., Tome I, Paris, 1869, p. 157.

انظر أيضًا :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ٢٧٠؛ ابن واصل : المصدر السابق، جـ ١، ص ٩٤؛ ابن العديم : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٧٩،

انظر أيضًا :

علية عبد السميع الجنزورى : إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٩٥ - ٣٠٨.

لاستعادة إمارته بعد موت عماد الدين زنكي ١١٤٦م / ٥٤١هـ رفض ريموند أمير أنطاكية مد يد المساعدة لحملته مما أضعف محاولة جوسلين وجعل جيشه عاجزًا عن مواجهة الجيش الإسلامي الذي قاده نور الدين محمود وأنزل بالصليبيين هزيمة ساحقة ضاعت على إثرها كل الآمال لاستعادة الرها مرة أخرى[1].

ومهما يكن من أمر فقد قامت الحملة الصليبية الثانية كنتيجة مباشرة لاسترداد المسلمين إمارة الرها فضلاً عن رغبة الغرب الأوروبي في مساعدة إخوانهم في الشرق ضد قوة الزنكيين التي أخذت تتمو باضطراد مستمر في تلك الأونة. ووصلت جحافل الحملة الصليبية إلى الأراضي المقدسة وعلى رأسها إمبراطور ألمانيا كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨ - ١١٥٢م / ٥٣٣ - ٥٤٧هـ) والملك لويس السابع Louis VII ملك فرنسا (١١٣٧ - ١١٨٠م/ ٥٣٢ - ٥٧٤هـ)، وفي يوم السبت الموافق الرابع والعشرين من شهر يوليو ١١٤٨م / السادس من ربيع الأول ٥٤٣هـ حاصر الصليبيون دمشق حيث نزلوا بمنطقة البقاع وأخذوا مواقعهم أمام أبواب المدينة وشددوا من هجماتهم وأحرزوا بعض التفوق بينما أخذ الدمشقيون يتجمعون في الدفاع عن مدينتهم إلا أن الصليبيين سرعان ما رفعوا الحصار عن دمشق وعادوا

---

[1] استغل جوسلين الثاني فرصة موت عماد الدين زنكي للعمل على استعادة إمارته فراسل سكان الرها من الأرمن الذين وعدوه بالمساعدة وقد تمكن من دخول المدينة ولكنه فشل في اقتحام القلعة ثم تمكن نور الدين محمود من إنزال الهزيمة الساحقة به وبقراته، وللمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث راجع :
William of Tyre, Op. Cit., V.2. pp. 158 - 161, Gregoire le pretre, Op. Cit., p. 160; Michel le Syrien, Op. Cit., p. 277.

انظر أيضًا :

ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ١٢٢٨ ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٩، ص ١١٤ ابن العديم: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢٩٠ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢جـ في مجلد واحد، القاهرة ١٢٨٧-١٢٨٨هـ، جـ١، ص ١٤٩ ابن واصل: المصدر السابق، جـ١، ص١١١.

أدراجهم من حيث أتوا بعد أربعة أيام فقط من حصارهم لدمشق. وهكذا فشلت الحملة الصليبية الثانية فى تحقيق أهدافها بسبب ما نشب بين الصليبيين من خلافات[1].

من العرض السابق يتبين لنا أن خلافات الصليبيين أثرت تأثيرًا سلبيًا على وجودهم فى الشرق منذ البدايات الأولى لوجودهم بالمنطقة، حقيقة أن أثر تلك الخلافات عليهم لم يبدو واضحًا جليًا فى الفترة الأولى من حكمهم ولا يرجع ذلك إلى أن تلك الخلافات لم تكن عميقة الأثر ولكن لأن المسلمين فى تلك الفترة كانوا يعانون آثار التفكك والضعف والتشرذم السياسى والمذهبى الأمر الذى لم يمكنهم من استغلال خلافات الصليبيين لصالحهم، وما أن أفاق المسلمون من سباتهم العميق وأدركوا ماهية الحروب الصليبية واستوعبوا الصدمة الأولى التى أفقدتهم توازنهم واعتدلت كفتا الميزان بينهم وبين الصليبيين حتى استغلوا خلافات الصليبيين استغلالاً كبيرًا لصالحهم، وتوجوا

---

[1] هناك عدة أسباب أدت إلى فشل الحملة لعل من أهمها انحرافها عن هدفها الرئيسى الذى جاءت من أجله وهو استعادة الرها من أيدى المسلمين والوقوف أمام نور الدين محمود المتزايدة وخيانة بعض الأمراء وتلقيهم الرشوة من المسلمين والانشقاق الداخلى وعدم الثقة التى تفشت بين صفوف قادة الحملة، إلا تسرب نبأ خيانة بعض نبلاء المملكة إلى إخوانهم الوافدين الجدد، الأمر الذى انعكس سلبيًا على النشاط العسكرى ضد المسلمين وكذلك ما وقع من تنافس حول ملكية دمشق بعد سقوطها فى أيديهم. ففى حين أيد نبلاء المملكة الصليبية من الثانى وريمار أمير بيروت ليكون حاكمًا عليها أيد الوافدون الجدد تورى الأزاسى لهذا المنصب. مما أثار غيرة كلا الفريقين وثبط من همهم فى محاربة المسلمين وأهم من ذلك كله الدور الذى اضطلع به معين الدين أنر مدبر دمشق فى تصديه لتلك الحملة. ولمزيد من التفاصيل انظر :

William of Tyre, Op. Cit., pp. 190 - 92; Roger of Wendover, Op. Cit., p. 502; A.S.C., pp. 298 - 99.

انظر أيضًا :

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص ٢٩٨؛ ابن الأثير : المصدر السابق، ص ٢٠ - ٢١؛ التاريخ الباهر، ص ٨٩؛ أبو شامة : المصدر السابق، جـ١، ص ٥٢ - ٥٣؛ أبو الفداء : المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٠؛ النويرى : المصدر السابق، جـ ٢٧، ص ١٥٠ - ١٥١.

ذلك بنجاحهم فى استرداد إمارة الرها أولى الإمارات الصليبية التى بذل الصليبيون جهدًا كبيرًا فى تأسيسها، ورغم أن الصليبيين أحسوا بتغير موازين القوى لغير صالحهم إلا أنهم لم يتداركوا أخطاءهم بل تمادوا فى خلافاتهم الأمر الذى أعطى المسلمين الفرصة لاستئصال شأفتهم والقضاء عليهم، بدأ ذلك بفشل الحملة الصليبية الثانية ثم ما تلاها من حملات، واستطاع القادة المسلمون أمثال صلاح الدين الأيوبى، وبيبرس، وقلاوون، ثم الأشرف خليل بن قلاوون من استغلال الفرص المواتية ونجحوا بالفعل فى اجتثاث جذور الصليبيين نهائيًا من المنطقة.

الشرق الأدنى فى النصف الأول من القرن الثانى عشر

نقلاً عن :

سعيد عاشور : الحركة الصليبية، جـ١، ص٥١٠

خريطة رقم (١)

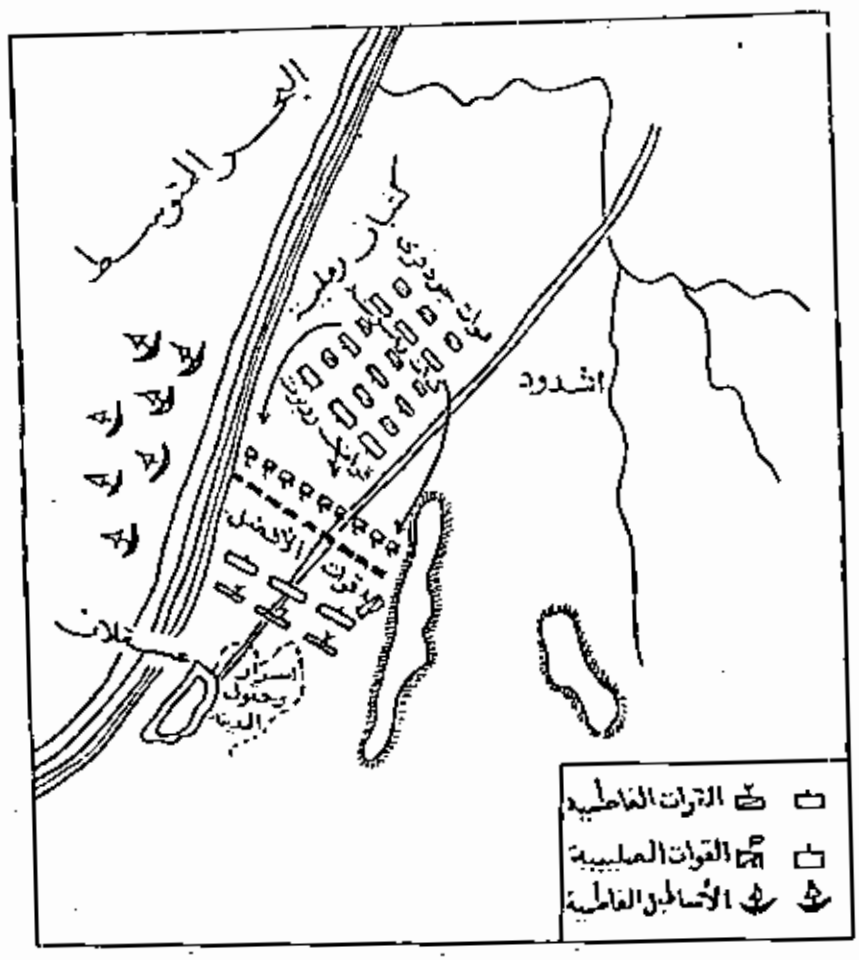

موقعة عسقلان الكبرى (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م)

تنظيم القوات الفاطمية والصليبية المتحاربة

نقلاً عن :

Oman, C.W.C., A History of the Art of War in the Middle Ages, Vol. I, London, 1924, p. 291

خريطة رقم (٢)

بيان بالمختصرات الواردة بحواشي البحث

A.S.C. :Anonymous Syriac Chronicle

R.H.C., Doc.Arm. :Recueil des Historiens des Croisades, Documents Anneniens

R.H.C., R. Occ. :Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux

أولاً : المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix,

Historia Hierosolymitana, Ed. R.H.C., H.Occ., Tome IV, Paris, 1879.

- Anna Comnena,

The Alexiad, Trans. E.R.A.Sewter, Great Britain, 1969.

- A.S.C.,

"The First and Second Crusade", ed. and Tr. by A.S.Tritton, The Journal of the Royal Asiatic Society, London, 1933, Part 1, pp. 69 - 107.

- Caffaro, C.

De Liberation Civitatum Orients Lifer, Ed. R.H.C., H.Occ., T.V, Paris

- Du Cagne,

Les Familles d'Outre-Mer, Publiées par M.E.G.Rey, Paris, 1869.

- Fulcher of Chartres,

A History of the Expedition to Jerusalem, Tr. by Frances Ryam, Sisters of St. Joseph, edited with an introduction by Harold's Fink, Konuville, U.S.A., 1969.

- Gregoire le Pretre,

Chronique de Gregoire le pretre, ed. R.H.C.Doc.Arm., T.I, Paris 1869.

- Historia Belli Sacri, (Tudebodus Continuatus) in R.H.C., H.Occ, T.III, Paris, 1866.

- Matthiew d'Edesse,

Extrait de la Chronique, Ed. R.H.C., Doc.Arm., T.I, Paris, 1869.

- Michel le Syrien,

La Chronique de Michel le Syrien, 3 Vols, Tr. ed. by J.B. Chabot, Paris 1905.

- Raoul de Caen,

Gesta Trancridi in Expeditione Hicrosolymitana, E.R.H.C., H.Occ., T. III, Paris, 1866.

- Roger of Wendover,

Flowers of History, Vol. I, London 1848.

- Rohricht,

Regesta Hicrosolymitani, Insbruc, 1893, doc. 104.

-William of Tyre,

A History of Deeds Done Beyond the Sea, Tr. by Babcock and Krey, 2 Vols, New York, 1943.

ثانيًا : المصادر العربية والمعربة

- ابن الأثير : (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أبو الحاسن على بن أبى الكرم الملقب عز الدين :

١- الكامل فى التاريخ، ٩ج، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٢- التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل، نشر وتحقيق عبد القادر سليمان، القاهرة ١٩٦٣م.

- ابن العديم: (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله: زبدة الحلب فى تاريخ حلب، ٣ج، تحقيق الدكتور سامى الدهان، دمشق، ١٩٦٨م.

- ابن القلانسى : (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد :

تاريخ أبى يعلى حمزة بن القلانسى المعروف بذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م.

- ابن ميسر :

أخبار مصر، ٢ج، نشر هنرى ماسيه، القاهرة ١٩١٩، ج٢.

- ابن واصل : (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ٣ج، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣م.

- أبو شامة : (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان شهاب الدين :

الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ج فى مجلد واحد، القاهرة، ١٢٨٧ - ١٢٨٨هـ.

- أبو الفداء : (ت ٧٣٢هـ / ١٢٣١م) إسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة:

المختصر فى أخبار البشر، ٤ج فى مجلدين، بيروت، بدون تاريخ.

- أبو المحاسن : (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ٩ج، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٨-١٣٩١هـ / ١٩٢٩-١٩٤٢م.

- ريموند أجيل :

تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى العربية وعلق عليه حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، سنة ١٩٩٠م.

- سبط بن الجوزى : (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف بن فيروغلى :

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ٨ج، حيدر آباد الدكن، ١٩٥١-١٩٥٢م.

- المؤرخ المجهول :

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدّم له وعلق عليه د. حسن حبشى، دار الفكر العربى، ١٩٥٨م.

- النويرى : (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب الكندى:

نهاية الأرب فى فنون الأدب، ٢٧ج، ٥٥ مجلد، تحقيق دكتور سعيد عاشور، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة، دكتور فؤاد عبد المعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥- ١٩٨٥م.

- ياقوت الحموى : (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله:

معجم البلدان، ٥ج، بيروت ١٩٧٩م.

ثالثًا : المراجع العربية والمعربة

- حسن عبد الوهاب :

تاريخ قيسارية الشام فى العصر الإسلامى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م.

- رانسيمان :

تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين حليل، ٣جـ، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

- سعيد عاشور :

الحركة الصليبية، ٢ج، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

- علية عبد السميع الجنزورى :

إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م.

- محمد محمد الشيخ :

- الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، دار النفير، ١٩٧٢م.

- عصر الحروب الصليبية فى الشرق، الشنهابى للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

- يوشع برارو :

عالم الصليبيين، ترجمة وتعليق وتقديم قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط أولى، ١٩٩٩م.

رابعًا : المراجع الأجنبية

- Duggan,

The Story of the Crusades, London, 1963.

- Grousset,

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, 3 vols, Paris, 1948.

- La Monte,

- The Lords of Sidon in Byzantion, Vol. XVII,

- The Lord of Carsarea in the Period of The Crusades in Speculum, Vol. XXII, Cambridge, 1947.

- Mayer,

The Crusades, Tr from German by Gillegham, Oxford, University Press, 1972.

- Michaud,

History of the Crusades, Trans. from French by Rabson.

- Nicholson, R.L.,

Joscelyn I, Prince of Edessa, Ilinois, 1954.

- Oman, C.W.C.,

A History of the Art of War in the Middle Ages, Vol. I, London, 1924.

- Rey,

Les Colonies Franques de Syrie aux XI et XIII siècles, Paris, 1883.

- Setton, K.M.,

A History of the Crusades, Vol. I, U.S.A., 1958.

- Stevenson

The Crusaders in the East, Cambridge, 1907.